﴿ اشعة رنتجن ﴾

جلست الى هند ذات مساء ... وثالثنا القمر الساهرُ
فحدثتها عن ضياء عجيب ... يسر برؤيته الزائر
له زرقة الماء لكنه ... شرار من النار مطّاير
كمنتشر من غبار الزمرد ... يحمله لهب ثائر
كأن به للعيون عيوناً ... فكل خفي به ظاهر
يرينا الجسوم اضالع جفت ... وزايلها حسنها الناضر
هيا كل محكمة شادها ... لطيف لما شاءه قادر
يرفرف فيها الفؤاد كما ... يرفرف في القفص الطائر
فقالت وقد رابها ما وصفت ... واورى اللظى طرفها الفاتر
اتبدو خبايا القلوب به ... شواخص ينظرها الناظر
فيا حبذا هو نوراً يريك ... مثالك في القلب يا جائر
فقلت اعيذ وفاءك مما ... يريب فاني اذن غادر
بهذا الضياء يرى كل جرم ... عن العين يستره ساتر
ولكنه لا يرينا الضمير ... ولا ما يجول به الخاطر
فسكنت من روعها ومضينا ... يؤانسنا القمر السائر
فلما رأتني اضالع سوداً ... يحيط سديم بها باهر
كلوح الزجاج المموج بالنو ... ر خط رموزاً به ساحر
أبت ان أراها كغصن تجر ... د من عوده الزهر الزاهر

وقالت عصيتك فيما اشرت ... وبالروح امرك والآمر
اضن بحسني وهو شفيعي ... لديك وعلك لي عاذر
فيا هند ان زال منك الجمال ... فحسب المنى قلبك الطاهر
وان بان حسنك عن ناظري ... فان الفؤاد له ناظر

خليل مطران

قول لبعض الناس

« في المآتم والاعراس »

(لاحد ادباء القطر المصري)

١

في ليلة ليلاء من ليالي الشتاء ساورتني افاعي الهموم بنواقع السموم ففزع منها الكرى وفر وهجر من مقلتيَّ المستقر ثم اشتد الخطب وعظم الكرب وقد التمست النجاة فلم اجد اليها سبيلا وطلبت الخلاص فالقى عليَّ الوهم قولاً ثقيلاً فقلت لعل هذه الليلة السوداء آخر الالم ومنتهى الداء داء الحياة المرة وألم المصائب المستمرة من عيش انكد وحظ اسود وسقم واعتلال وعكس في الامال وحاجة واضطرار وذنب واصرار واعتذار واستغفار الى آخر مارقمت الحياة في سجلها المطوي ورقها المنشور من كثرة الاماني وغرور المتاع وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وحينئذ تجدد الارق وامتد وتضاعف القلق واشتد وازدادت الهواجس وكثرت الوساوس

وورد على الخاطر المكدود هول اليوم المشهود بصورة اقشعر منها جسمي واذهلتني عن اسمي فاعددت لحسن الاوبه اخلاص التوبه وقمت للوضوء فالصلاة ثم اخذت في المناجاة فقلت ربنا هب لنا من لدنك رحمة واكشف عنا ما نحن فيه من الغمة فقد بلغ سيل الاكدار رباه ولا حول ولا قوة الا بك يارباه وقد تبت اليك من فلتات اللسان ونظرات العينين ومن ذنوب الاذان وجناية اليدين ومما كان من بقية الجوارح وانطوى بين الجوانح تبت اليك من كذبة دعتها الضرورات او كلمة في مجال الشهوات او نظرة في غير حل او سماع افتراء في نقل او كتابة في غير ماينفع او بطش لغير ما يدفع او اضمار شر او اظهار غدر او تقديم عذر او تأخير بر او كان صبا القلب لدعوة الصبا والحب فاقبل اللهم بفضلك توبتي وخفف بسريع لطفك ومديد كرمك توبتي وهاأنا بين يديك والامر اليك ان شئت عذبت وان شئت غفرت ولكن يقيني في رحمتك يقيني من نقمتك

وما فرغت من ابتهالي وانتهيت من سؤالي حتى صور لي الوهم ان ما انا فيه انما هو عسر هضم وان هذه الغمة نتيجة لقمة فقمت امشي الى الامام والورا واثب ثم ارجع متقهقرا واجوب الدار في الطول والعرض ابتغي سلما في السماء او نفقا في الارض حتى ادركني الكلال وسئمت هذه الحال فقعدت ولا حيلة ابتغي الى الراحة وسيلة واعبث بما بين الشفة والانف تارة مطرقاً الى الارض وتارة متطلعاً الى السقف كل ذلك والحال هي هي في شدتها والنفس مافتئت في كربتها وقد ظهر لي اني اخطأت نظراً وفهماً وبعدت صواباً ومرمى وان اللقمة مهضومة والمعدة مظلومة فقلت والله لولا نجح المتاب لكانت هذه بلا ريب خيبة الاياب وتبسمت وربما

تبسم المرء لدى العطب وكذلك الليث يبدونا به عند الغضب ولكن تذكرت ان هذه الشدة ستزول وانني سأتبين العلة والمعلول اذ ما بعد الليل الا النهار ومن نتائج الغيم نزول الامطار وتنبهت لطرائق عدة توسمت فيها النجاة من الشدة فهمت باولاها وكنت اظنها اعلاها واغلاها ونحوت السرير فحركت حلقته وايقظت ربته لاقطع هذا الهم المتواصل بكليمات قلائل ربما سكن بها الهياج وخف القلق والانزعاج فجلست السيدة ولا اميرات مصر او مثريات القطر في الخمود والكسل والجحود بايات الحركة والعمل وقالت بعد طول الصمت لم ايقظتني في هذا الوقت وقد كنت في رؤياي العظيمة مع المرحومة والدتي الكريمة رأيتها يا سيدي في ثياب باليه وعين باكيه وقد احتضنتني ثم قبلتني وعاتبتني عتاباً مرا على انني لم اذكرها بشيء ولم ازر لها قبرا مصوبة اليك من الملام اسد واشد من السهام لانك مانعي عن هذه الواجبات ومعارضي في البقاء على تلك العادات عادات الاباء والابناء والامهات وسنة من مضى ومن بقي ومن عاش ومن مات قائلة ان زوجك بخيل ومقتر لا كما تقولين عنه مقتصد ومدبر والا فلا يصح ان اكون امك من جهة وحماه من ثانيه واكون باهما لكما زيارتي في نار حاميه ثم طلبت تفاحاً وعنبا ورماناً وقصبا وقبل ان تنقطع سلسلة اماني امي اتيت انت فايقظتني من نومي فاسألك الا ما قضيت حاجتها ومنحتها مشتهاها فقدمت لي هذه الاشياء وسمحت لي بزيارتها في مغناها

فقلت ادعوك للجلي لتنصرني وانت تخذلني في الحادث الجلل

ايتها القرينة الجاهلة المسكينة ان والدتك من سبع سنوات بين العظام والرفات والميت لا يسقى ولا يطعم ولا يلتذ ولا يتألم ولا يزور ولا يزار الا لعظة واعتبار ليعلم الزائر انه الى هذا المصير صائر فينزل عن عتوه ان كان عاتيا ويتوب مما اكتسب ان كان عاصيا ومن منكن يا معشر السيدات تفكرت في مثل هذه العظات او ارسلت رائد المفكره بين هذه القبور المبعثره لتبصر حال امها وابيها وصاحباتها وبنيها وكيف هضمهم التراب وتغير عمران جسومهم بالخراب كلا بل لا يراكن الرائي في هذه المجتمعات الا متبهرجات متبرجات في خلاعة وانس وقرة عين وطيب نفس كانكن في مرسح ملعب او حفلة عرس

هذا وما منعتك هذه الخطة وحولت بك عن هذه العادة المنحطة لبخل بدرهم او دينار كلا بل لوقاينك من لفحة تلك النار اذ اعتقادي في كل امرأة تخرج لذلك من الحياء انما تذهب لتدفن الوقار وتقبر الحياء وترجع مأزوره لا مأجوره خاسرة من الكمال والاماره وما بعد ذهاب الفضائل خساره

فقالت : خفض من حدتك واكسر من سورتك وثورتك فقد انذر الكون بالفناء وعن قريب نكون مع هولاء وها هو اليوم الثالث عشر من هذا الشهر المضروب ميقاتاً لنفاذ الامر لم يبق منه الا بضعة ايام وبعض ساعات وقليل من دقائق ثم تتساقط الشهب وتلتهب النجوم وتخر الكواكب وتنزل الصواعق ويرمى بالكرات من العليا حتى تخرب المعمورة وتزول الدنيا ولا غرابة فقد بدت الآيات وظهرت العلامات فولدت الشاة العجفاء غادة هيفاء احدى يديها في الارض والاخرى في السماء هذه

بيضاء درية تشير لحسن المستقر في الاخرة وتلك سوداء فحمية توميء بالتخلي عن التجارة البائرة وكذلك تكلم الصبي في مهده وسلم باشتياق على جده والتهم ما اعدته لنفاسها امه المحتاجه ما بين مرق وثريد ودجاجه وقبل ان تلتفت او تثني ناداها من جانبها ان لا تحزني ومما هو اعجب من ذلك واغرب ان ظهر في البطيخة رجل خرج منها خائفاً يترقب وان وجدت على يد مولود كتابة بماء الذهب نصها يولد يوم تطوى السماء كطي السجل والكتب وقد رأى ذلك الناس اجمعون وخلاصة القول انك ميت وانهم ميتون

فقلت : اعوذ بالله من الجهل ومن عمى البصيرة وزيغ العقل ايقظت هذه السيدة لزيح العلة فزادت الطين بلة وصار الويل ويلين ووقفت منها ومن ليلتي بين عدوين هذا يرمي من همه بذله وذاك يصمي بقوله من جهله ولكني رأيت ان السكوت اولى وان الصبر على هذه المرارة احلى ثم الويت العنان الى خارج باب الدار لانظر الامر واستكشف صدق هذه الاخبار لا لوجود تأثير لها على وجداني او انها وجدت محلاً فاستقرت في آذاني بل لانظر كيف لعبت هذه الترهات بعقائل القوم وعقولهم وكيف عبثت بهم تلك الخزعبلات من فروعهم لاصولهم فرأيت ويا عجب ما رأيت رجالاً في اشد الجزع ونساء في منتهى الهلع كأنما عزرائيل ينظر اليهم او الافلاك من جانب الجو تهوي عليهم فضحكت القهقهة حتى سمع لصوتي قرقعه فقالوا ها قد حم الاجل وانقطع الامل فالوداع الوداع يا متاع الزينة ويا زينة المتاع

«البقية تأتي»